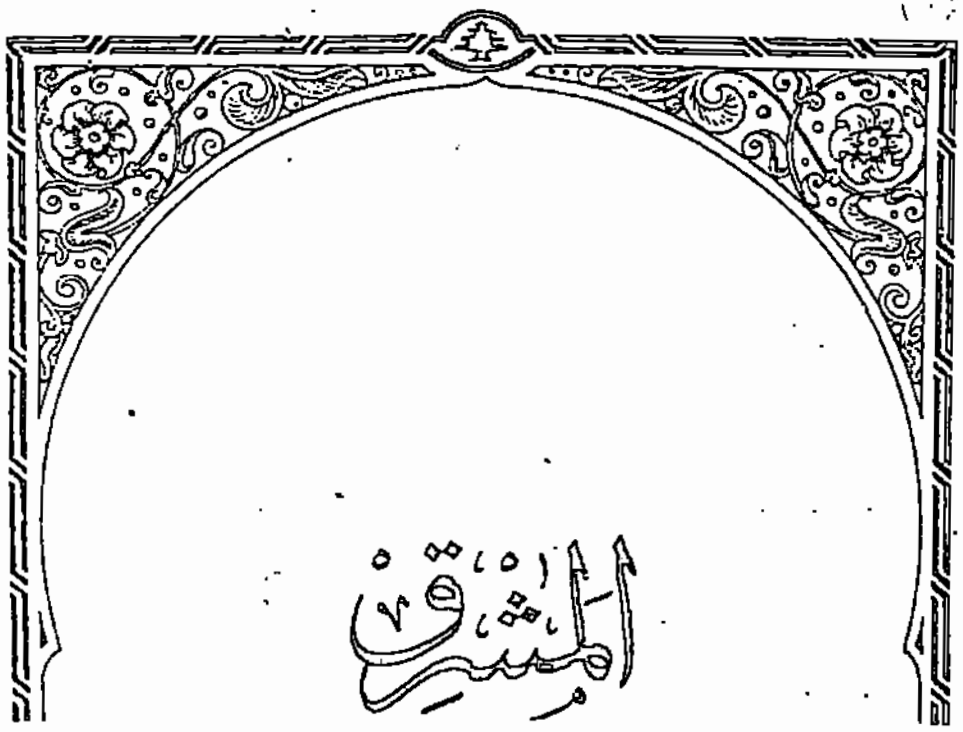

السنة الثالثة والخمسون تموز – ت ١ ١٩٥٩

القس الخوري يوسف اسكندر القرطباوي

بقلم الخورسقف يوسف زيادة (†)

١ً – من هو القس يوسف اسكندر

٢ً – هل كتب نبذة في تاريخ الاسر

١ً – القس يوسف اسكندر

جاء في نبذة وضعها القس يوسف اسكندر على كتاب رفيق الواعظ في اسرته « السخن » واسر قرطبا وغيرها[1] ما يلي :

« انا القس يوسف ابن الشيخ اسكندر ابن الشيخ فاضل السختي القرطباني بن جرجس بن مخايل بن اسعد بن مالك اليمني مقدم العاقورا ابن ابي الغيث بن عبد الله بن غيث بن يزيد بن سالم صادق بن شبل بن غصيبه بن جهجاه بن دياب العاقوري الخ . وُلد جدي الشيخ فاضل في العاقورا في ١٨ كانون الثاني سنة ١٥٩٠ ربانية وطفر من العاقورا الى قرطبا وقت ما قتل الشيخ ظاهر واخوه الشيخ هاشم اولاد الشيخ ايوب ابن الشماس توما الهاشم العاقوري الشيخ معتوق شوك اليمني مقدم العاقورا سنة ١٦٠١ ربانية[2] .

---

١) نشرت في ديوان خواطر الجنان للقس غسطين سالم اللبناني سنة ١٩٣٩ ، ص ١٤٠

٢) راجع تاريخ العاقورا للخوري لويس الهاشم ١٩٣٠ ص ٨٣

وما يلي حيث يقول :

« في بداءة القرن السابع عشر نحو ١٦٠٦ وقطن في قرطبا عند قرايته الشيخ عزيز بن نصرالله السخني القرطباني وتزوج على بنته نفاحه ١٢ حزيران سنة ١٦٠٧ ربانية .

ومن بعد ذلك هدبت الحال في الماقورا ورجع الى الماقورا مع زوجته نفاحه ومن بعد ذلك زوّج جدي الشيخ فاضل والدي على نقلا بنت غصيبه ابن الشيخ عزيز السخني القرطباني في ١٤ اذار سنة ١٦٢٩ ربانية واعطى جدي غصيبه والدي ارض شالي نبع خلف وعمّر والدي بيته هناك وتوطن في قرطبا ومن بعد ذلك ولدت انا في ٨ كانون الثاني سنة ١٦٥٨ وتوفي المرحوم والدي يرض القلب في ٥ حزيران سنة ١٦٥٩ الله يرحمه ومشت انا وحيد يتيم عند جدي غصيبه .

ومن بعد ذلك ارساني غبطة سيدنا البطريرك اسطفان الدوجي الى مدرسة رومة بواسطة الخوري يوسف ابن غصيبه جدّي مع جرجس الاهدناني وعبدالله الشبابي وجرجس يعقوب من حصرون وابراهيم من غزير ووصلنا الى مدرسة روميه العظمى في اول شهر شباط سنة ١٦٧٠ ربانية وبقيت في مدرسة رومية ١٣ سنة ودرسنا قواعد العربي (واللاتيني) والفلسفة واللاهوت النظري والادبي بصحة جيدة من كرم الباري تعالى ورجعت الى قرطبا في ٢٢ من شهر آب سنة ١٦٨٣ وقبّلت يد والدي وشاهدتها بخير وجبت لها معي ذخيرة عود الصليب المقدس .

ومن بعد ذلك اخذني المفضل عليّ الخوري يوسف ابن جدي غصيبه الى عند غبطة سيدنا البطريرك اسطفان الدوجي في دير سيدة قنوبين وقبلت يده الطاهرة وشكرته على عطفه عليّ وبقاني عنده ورسمني قسيس على مذبح كنيسة سيدة قنوبين في ٦ كانون الاول سنة ١٦٨٣ ربانية .

ومن بعد ذلك رجعت الى قرطبا ووقفت كل ما املكه من المرحوم والدي من الارض لكنيسة جدودي مار سركيس وباخوس في قرطبا على يد غبطته ايده الله وغبطته كفّل معاش والدتي الحنونة نقلا حتى موتها بعد عمر طويل .

ومن بعد ذلك جيتني مرسل بطريركي لاجل عمل الرياضات في جميع قرى جبل لبنان وسوريا ولاجل اخذ حسابات الاوقاف .

ومن بعد ذلك طلبني غبطته من قرية مجد الموش من عند اقاربي الشيخ فاضل ابن المقدم حنش بن ابي الغيث الماقوري الخ ومن بيت الشيخ مرهج بن كنعان بن شملان بن طربيه الذي من قرية عين دارا بن المقدم حنش بن ابي الغيث الماقوري الخ .

ورجعت من قرية مجد الموش الى دير سيدة قنوبين لعند غبطته وعيني يازجي عند غبطته في ٢٩ حزيران سنة ١٦٨٧ ربانية ايده الله واطال عمره من عمري .

ومن قبل ذلك في غضون عملي الرياضات واخذي حسابات الاوقاف من جميع قرى جبل

لبنان وسوريا كنت جمعت تاريخ عيال امر نسبنا وسلسلتهم عن مخطوطات حدودهم وكهنتهم ومشايخهم الخ .

وعن رق نسبنا الذي كان عند والدي . . . وكنت عيال امر نسبنا في الملحق بكتابي رفيق الواعظ هذا . . . »

ولقد ايد التفاصيل التي ذكرها عن سنة ارساله الى رومة ورجوعه منها وتعيينه كاتباً للبطريرك الدويهي ما جاء في نبذة الدويهي عن تلامذة المدرسة الرومانية التي نشرها الاب لويس شيخو[1] .

فقد جاء فيها :

« عندما ارتقينا الى الكرسي البطريركي وبلغنا ان المدرسة في عازة اولاد ارسلنا صحبة فرا جوان من ميامت الذي كان مستجباً بدير مار اشعيا ستة اولاد وهم : يعقوب الحصروني ابن الخوري حنا ولد عواد ابن عشرين سنة وجرجس ابن مركيس من بيت عبيد الحدثاني وعمره عشر سنين وجرجس بن منصاع الحصروني ابن خمسة عشر سنة وابراهيم بن خير الله حجولا النزيري ويوسف بن اسكندر القرطاني ابن ١٢ سنة وكان دخولهم المدرسة في اوائل سنة ١٦٧١ وعبد الله بن باسيل البجاني كان ابن ١١ سنة » .

ثم يؤلف الدويهي فيقول :

« يوسف القرطاوي » بعد ما اكمل علوم الفلسفة واللاهوت عاد صحبة جرجس ابن عبيد سنة ١٦٨٧ في اواخر حزيران سنة كاهناً على سيدة قنوبين وقلدناه في الكتابة عندنا . كان طبعه ليناً طائعاً .

وفي ٣٠ من ايار سنة ١٦٩٦ انتقل بقنوبين الى راحة الابرار بكل ثناء وضربة الوباء » وتاريخ الوفاة هذا ١٦٩٤ غلط من الناشر لانه الوفاة حصلت سنة ١٦٩٣ ، على ما سنرى .

وجاء في قيود رسامات الدويهي المدونة بخطه في اولى الشرطونية[2] المكتوبة بخطه ايضاً :

« في ٢٩ من شهر حزيران سنة ١٦٨٧ انتخب الثالوث المقدس ابن اخونا يوسف قسيساً على كنيسة مار عبدا وابن عمنا جرجس قس على كنيسة مار بطرس باهدن وباحتجبتنا القس يوسف القرطاني على سيدة قنوبين » وا ضاف : « مات ٣٠ من ايار سنة ١٦٩٣ » .

---

١) الطائفة المارونية والرهبانية اليسوعية سنة ١٩٢٣ ص ١٢٨ و١٢٩

٢) هذه الشرطونية لا تزال محفوظة في خزانة المخطوطات في بكركي عدد ٢٠٠

وهنا لا بد من ملاحظة الفرق بين تاريخ رسامته كاهناً الوارد في نبذته التاريخية « في ٦ كانون الاول سنة ١٦٨٣ » وما ذكره الدويهي في « ٢٩ حزيران سنة ١٦٨٧ » ولعل ذلك كان خطأ من ناشر النبذة ولكن تاريخ تعيينه كاتباً يتفق مع ما ذكره الدويهي في ٢٩ حزيران سنة ١٦٨٧ .

وفي سنة ١٦٨٣ في اول ايلول توجه الدويهي الى قرية مجدل معوش وبقي فيها سنتين .

(تاريخ الدويهي — شرتوني ص ٢٥٠

وقد تكلم المطران بطرس شبلي في ترجمة البطريرك الدويهي عن القس يوسف القرطباوي وكلامه لا يختلف في الجوهر عما تقدم ، ومن قوله ان البطريرك عينه كاتباً لاسراره حال رجوعه من رومة .

(ترجمة الدويهي ص ١٥٨)

وكذلك تكلمت عنه مجلة المنارة (٤ : ١٩٣٢ ص ٥٨٣ ، ١٩٣٥ ص ٨٠٧)

ويوجد في الخزانة البطريركية في بكركي مخطوطان الاول تحت عدد ١٧٨ وعنوانه اشعار سريانية وعلى اول صفحة منه تقرأ :

« هذا الكتاب للقس يوسف القرطباني » وهو بخطه وفيه شرح بالسرياني عن الكواكب السيارة والارض . . »

ومخطوط اخر تحت عدد ١٩٦ عنوانه باللاتينية « تبريكات وتكريسات » وفيه قسم من الشرطونية بخط القس يوسف بدليل العبارة التالية :

« تم ذلك في سنة ١٦٩٢ في عروسة طرابلس على يد الحقير القس يوسف القرطباني[1] وله مجداً دائماً » .

وكان القس يوسف من الكهنة العلماء الافاضل المنظور اليهم بدليل ما تقدم وما قال عنه المطران بطرس شبلي[2] :

« وكان من عادة البطريرك الدويهي ان يستدعي لخدمة الكرسي البطريركي كهنة افاضل وعلماء من تلامذة رومة وكان يرقيهم الى اعلى المراتب فمن الذين قاموا بخدمته الخوري يوسف شمعون الحصروني ويعقوب عواد الحصروني ويوسف بن اسكندر القرطبي والياس عواد

١) راجع ترجمة الدويهي والمنارة ١٩٣٢ ص ٥٨٣ و٥٨٤ وخواطر الجنان ص ١٤٣

٢) ترجمة الدويهي ص ١٥٦—١٥٨

الحصروني . وترك القس يوسف ذكرًا طيبًا في الكرسي البطريركي لانه كان مطيعًا لابن المريكة طاهر الذيل » .

وقال صاحب مختصر تاريخ لبنان[1] :

وكانت الطائفة في عصر الدويهي ساكنة . . . وفيها كثيرون من المعلمين (العلماء) كيوسف الحصروني مطران طرابلس . والقس مرهج ابن نيرون البلمي والخوري يوسف اسكندر القرطباني . . وغيرهم الذين اشتهروا بالعلم والفضل »

وقال الخوري اسطفان البشعلاني :

« من اثار القس يوسف اسكندر الباقية بين المخطوطات في خزائن بكركي يستدل على مبلغ علمه وفضله من اللغات ولكن ليس هناك اثر البتة للنبذة التاريخية التي نشرها له القس غسطين في ديوانه ولا ذكر لمخطوطة او وثيقة بموضوع تاريخي كهذا » .

ويرجع القارئ الى مجلة المنارة ج ٣ ص ٥٨٣ [2]

٢ً ـ هل كتب القس يوسف اسكندر نبذة تاريخية في اسر قرطبا وغيرها

قبل ان نجيب على هذا السؤال نوجز النبذة المذكورة المعلقة على كتاب رفيق الواعظ فقد كتب القس يوسف ان معظم عيال قرطبا هي من بادية الشام : بيت السخن وبيت كرم وبيت شليطا من « السخنة » وبيت صقر وبيت القسيس من « تدمر » وبيت ابرهيم الخوري من قرية « عرض » وبيت عطا الله من قرية « ارك » وذكر سلاسل انسابهم — وبيت قيقانو (البيروتي) من اصل صليبي — ومن هذا يستدل انه لم يحاول جعل كل عيال قرطبا من اصل عربي بل انه يتوخى الواقع — وكتب ايضاً في نبذته عن نزوح بعض اسر من العاقورا وبانوح والمنيطرة الى جهات مختلفة ، منها اسرة المقدم حنش والمقدم حرفوش اخوي مالك مقدم العاقورا واسرة الشيخ سركيس المنيطري ابن الشيخ خازن — والشيخ حبيش اليانوحي — ويونان اليانوحي ومنها بيت اده وبيت

١) للشماس انطونيوس الميطوريني المطبوع سنة ١٩٥٣ ص ١٠٥

٢) المشرق اذار نيسان سنة ١٩٥٣ ص ٢٠٩ — ٢١١

الملاط – واسرة موسي اليانوحي ومنها بيت مطر وضو وغانم – واسرة شديد اليانوحي – واسرة بصبوص الى غير ذلك .

قال القس يوسف في الملحق الذي وضعه في آخر كتاب رفيق الواعظ ما نصه :

هذه عيال اسر قرطبا الكريمة الجدود والنسب التي تفرّعت من صلب شجرة نسبنا المكتوب في مقدمة كتابي « رفيق الواعظ » هذا وقد قطنت في قرطبا منذ اواخر القرن السادس عشر ربابي ومن جهة الفروع التي تفرعت من هذه الاسر وترحت من قرطبا الى جهات متعددة بسبب حوادث الفيسيين واليمنيين وغيرها في لبنان والعاقورا وقرطبا .

وكان تزوح هذه الفروع من قرطبا من اوائل القرن السابع عشر ربابي الى اواخره ، وكان تزوح جدود عيال اسر قرطبا وجدود عيال الاسر التي من نسبنا في بادية الشام وغيرها الى الشوف والعاقورا وبانوح والمنيطرة وشمالي لبنان في اوائل القرن التاسع ربابي الى ايام سيف الدولة والي حلب . .

ومنهم كانوا نصارى من القبائل التنوخيين الفيسيين والتنوخيين اليمنيين ومنهم من كانوا اسلموا وعبدوا الله تقدس اسمه ومنهم من كانوا بعدهم على عبادة جدودهم في الصور الجاهلية . .

وباقي الى اليوم من صلب شجرة نسبنا في قرية السخنه التي في بادية الشام التي تزحت جدودنا منها الى العاقورا وغيرها في ايام سيف الدولة والي حلب ، بنو مقابل .

وفي قرية ارك التي في بادية الشام ، بنو خباب وبنو ضمره . . وفي حلب بنو رحمه . . وفي قرية عرض بنو مليح وبنو نتوخ . . وفي تدمر بنو عامر . . »[1]

غير ان المرحوم الخوري اسطفان بشعلاني انكر وجود كتاب رفيق الواعظ وبالتالي النبذة الموضوعة فيه من القس يوسف اسكندر ، كما انكر اعتباطاً وجود كتاب « كمال الاشتمال في الاماكن والعيال » للبطريرك مخايل فاضل[2] .

واعترض غيره على الانساب الواردة في تلك النبذة ، بحجة انها عربية الاصل . ولكن اقوالهم لا تستند الا الى اسباب سلبية قاصرة عن تدعيم مزاعمهم .

اما نحن فنقدم البرهان الوضعي التالي ثم نرد على اعتراضاتهم :

لقد وجد القس غسطين سالم سنة ١٩١٢ كتاب رفيق الواعظ وفيه نبذة

---

١) خواطر الجنان ص ١٢٤ و١٢٥

٢) راجع مقالنا في هذا الموضوع المنشور في المشرق

القس يوسف اسكندر عن اسر قرطبا وغيرها ووصف هذا الكتاب بقوله ما يلي[1] :

« كتاب رقيق الواعظ عدد صفحاته ١١٨ اكثر كلماتها نخرة حرقها الحبر الاسود الا ان عنوان العظات مكتوب في الحبر الاحمر غير محروق وطول الكتاب ٢٣ سنتيمترًا وعرضه ١٧ سنتي مخطوط في الحرف الكرشوني الفه القس يوسف ابن اسكندر ابن الشيخ فاضل السخني القرطباوي » .

كما جاء في مقدمته وقد قال في آخر هذا النسب ما يلي :

« واني اخذت نسبنا هذا عن الرق الذي كان محفوظًا عند والدي الشيخ اسكندر السخني القرطباني الذي اصله من عين قورا « المحروسة » والكتاب المذكور موجود في مكتبة دير مار إشعيا قرب بلدة بعبدات في المتن اطلعني عليه القس مبارك صقر من الدوار يوم كنت تلميذًا في مدرسة مار موسى الدوار . . »

وقال في صفحة ٢٨ :

« قد وُجد بعض كلمات في خلال نسبنا الذي ذكره القس يوسف في مقدمة كتابه رقيق الواعظ نخرة لا تقرأ ابدًا . . ولكن قد اتحفني السيد النسيب الشيخ احمد العبد العزيز السخني بالاسماء التي لا تقرأ فيه وذلك من ابن كعب السخني الى اخر ذلك النسب وقد نقلت ذلك عن رق نسبه . . »

وقال في صفحة ١٠٢ :

« اني اضيف الى ما تقدم عن نسبنا وفروع جدوده العديدة ص ٢٦ من هذا الديوان حرفية نبذة تاريخية عن اصل نسب بعض اسر قرطبا . . حسما ذكرها المرحوم القس يوسف ابن الشيخ اسكندر السخني القرطباوي في ذلك الملحق الذي وضعه في آخر كتابه رقيق الواعظ وعدد صفحات هذا الملحق ٨٩ صفحة ويتبعها صفحات بيض وانا قد نسختها عنه من ص ١١٩ وذلك في ٩ ت ٣ سنة ١٩١٣ يوم كنت تلميذًا في مدرسة مار موسى الدوار بشرقي بلدة بعبدات في المتن — وورق هذا الملحق كورق الكتاب المذكور ذاته يشبه ورق الرقوق والحجج القديمة عندنا وخطه كخط الكتاب ذاته مكتوب في الحرف الكرشوني بحبر اسود وعناوينه بحبر احمر كلماته غير نخرة ولا محروقة الا بعض حروف منها غير مفهومة مما قبلها وبعدها وما ندر من كلمات الحبر الاحمر غير مفهومة .

---

١) خواطر الجنان ص ٢٦

ومن الثابت عند المؤرخ المنقب المدقق (ص١٠٣) ان هذا الملحق كتبه المرحوم القس يوسف المذكور في كتابه رفيق الواعظ بعد سنوات كما يستدل من ورقه الاجد اكثر من ورق الكتاب المشار اليه .

وان هذا الكتاب وكتاب كمال الاشتمال في الاماكن والميال (للبطريرك غبايل فاضل) قد وجدهما قدس الاباتي غبريال البعداتي . . في دير مار يوحنا حراش في بلاد كسروان، وهو اخذهما منه ووضعها في مكتبة دير مار اشعيا قرب بعبدات بلدته سنة ١٩٠١ .

وان الكتابين المذكورين قد فقدا منها بسبب احتلال عساكر الاتراك الدير المذكور سنة ١٩١٦ في تلك الحرب الكونية وبسبب نقل كتب هذه المكتبة الى عند شركاه الدير والى بلدة بعبدات » .

واضاف القس غسطين ان الاباتي بعبداتي والقس مبارك صقر افاداه بان المطران غبايل فاضل قد وجد كتاب رفيق الواعظ ورق النسب في دير سيدة قنوبين بين كتب القس يوسف ، وهذا كلام معقول لأن القس يوسف هو ابن عمه وقد توجه فاضل بعد رجوعه من رومة لزيارة قبر ابن عمه في قنوبين كما ورد في رسالة القس مبارك صقر للقس غسطين في ١٤ اذار سنة ١٩٢٧[1] .

ومن هناك احضر معه كتاب رفيق الواعظ والرق المذكور ووضعها في دير حراش لما جعل سكناه فيه .

وقد كتب القس يوسف في نبذته ما نصه[2] :

« وان هذا الملحق وضعته في آخر كتابي رفيق الواعظ هذا ودونت فيه حوادث تاريخية عن قبائل العرب النصارى التنوخيين القيسيين والتنوخيين اليمنيين الذين نزحوا من تنوخ الى بادية الشام ومن بعد ذلك نزحوا منها الى الشوف والساحل وشاليها في اوائل القرن التاسع رباني الى ايام سيف الدولة والي حلب .

وعن عيال امر قرطبا وجدودها وعن نسب الامر المتفرعة من صلب نسبنا كما ذكرها جدودنا القدماء في رق نسبنا الذي كان عند والدي الشيخ اسكندر السخني الغرطباني والمحفوظ اليوم عندي في دير سيدة قنوبين وقد ذكرت قسم منه في مقدمة كتابي هذا ، واضيف الى جدود عيال امر قرطبا ما عرفته من افواه شيوخها وكهنتها الافاضل الخوري

---

١) راجع مقالنا في المشرق

٢) خواطر الجنان ص ١٠٤ و ١٠٥

يوسف غصيبه[1] السخني شقيق امي نقلا بنت غصيبه السخني القرطباني والخوري الياس سركيس السخني القرطباني . »

وقد ورد ذلك في ديوان خواطر الجنان ص ١٠٥ :

« والبلاطة موجودة للآن المخبرين بذلك عن توطنها في قرطبا وعن تزوح فروعها الى جهات عديدة وكان ذلك يوم شرف سيدنا وابينا المبجل البطريرك اسطفان السدوجي الى الماقورا وقرطبا من دير سيدة قنوبين على طريق الجرد بسبب ظلم المشايخ الحماديه اولاد حسن ديب والحاج موسى احمد حماده حيث طالب من غبطته مال باهظ على ارزاق دير قنوبين وكنت انا الحقير من جملة المرافقين والخادمين غبطته ايده الله وكان ذلك في ١٦ كانون الاول سنة ١٦٩١ وبانية . . »

ومما يثبت ما ذكره القس يوسف عن هذا الحادث الاخير وتاريخه .

اولاً : ما جاء في تاريخ الدويهي[2] وهو :

« وفي ١٦٩١ ضمن بلاد طرابلس محمد باشا فاطلق ايدي مشايخ بيت حماده في مقاطعاتهم فاعطى الشيخ حسين بن سرحان بلاد جبيل والبترون وولى ابنه الشيخ اسماعيل على الكورة والحاج موسى بن احمد على الجبه واولاد حسن على الضنية » .

ثانياً : ما جاء في نبذة البطريرك سمعان عواد عن الدويهي[3] قال :

« وفرّ مرة اخرى من شر الذين كانوا يطلبون قتله في ليالي كانون الاول من دير قنوبين الى الماقورا في ليلة باردة جداً » .

وهذا مطابق لقول القس يوسف « في ١٦ كانون الاول ».

فمن يطالع حياة القس يوسف كما اوردها بالتفاصيل الدقيقة عن اسم والديه وسنة مولده وذهابه الى رومة ورجوعه منها ورسامته كاهناً وتعيينه كاتباً

١) توفي الخوري يوسف غصيبه سنة ١٧١٨ كما هو مذكور على بلاطة ملصوقة على الحائط الشمالي الداخلي من كنيسة دير مار سركيس وباخوس قرطبا — وتوفي الخوري الياس في ٢٥ ك ١ سنة ١٧٢٢ ودفن في قبر الخوري يوسف غصيبه ، على ما جاء في آخر شحيمته المخطية الموجودة بين كتب المرحوم الخوري عنتوبل بخط المرحوم الخوري فرنسيس لحود وما جاء في قيود المحفوظة الكتب لكنيسة مار الياس قرطبا ص ١٤١ بحوزة السيد فريد لحود .

٢) ص ١٥ تاريخ الدويهي وشرتوني ص ٢٥٢.

٣) تاريخ الدويهي شرتوني ص ١٦

للبطريرك الدويهي ومرافقته اياه مزورا بالعاقورا وقرطبا ووقف املاكه وتعهد البطريرك بمعاش والدته نقلا الى غير ذلك يتأكد ولا ريب ان ليس غيره يقدر ان يدعي بمثل هذه التفاصيل والظروف ولا يقدر احد ان يستنبطها ، وبالتالي انه هو هو كاتبها في النبذة الموضوعة منه .

ومن يطالع ما اورده القس غسطين سالم عن كتاب رفيق الواعظ والنبذة التي فيه ووصفه الكتاب بحجمه ونوع ورقه وحبره وحروفه النخرة وعن سنة نقله النبذة المذكورة والظروف الملائمة يتأكد ولا ريب ان الكتاب كان موجوداً ، والاب المشار اليه كان ولا يزال متمتعاً بصحة العقل والجسد يعرف ان يقرأ كغيره وان ينقل ما يطالعه وان لم يكن خريج الكليات ولا مدعي العصمة . فقد وجد الكتاب حقيقة ونقل عنه ما اراد ولا يجوز تكذيبه بنوع من الانواع فيما ذكره وان لم يحفظ الطريقة العلمية ، على قول احد المعترضين ، والا لاضطررنا ان نكذب غيره ممن يطالعون وينقلون . واذا كان الكتاب قد فقد فهذا كثيراً ما يحدث وخاصة في بلد لا يقدر اهله قيمة المخطوطات والوثائق وفي ظروف كالتي رافقت فقد هذا الكتاب في الحرب الكونية ومن يستطيع ان يؤكد انهم ليس بقبضة احد قد وجده او سرقه ولا يجرؤ ان يقر بما فعل وهلا نعرف لنا ضابطين مخطوطات عن الاسر وحافظينها تحت طي الكتمان الشديد فلا يطلعون عليها احداً كمخطوط بلا وحصارات وذلك عبثاً بفائدة علمية قد تكون من ورائها وطمعاً ببعض فائدة مادية يطلبونها لقا. تسليم قصاصة منهم عن بلدة او عائلة . وجل ما نتمنى ان لا يكون الكتاب قد ضاع بدون رجعة او تكون يد جاهلة قد جنت عليه . وفيما أخذ عنه غنى عن وجوده الان ، وهو حري بالاعتبار .

ومما يؤيد وجود الكتاب والنبذة :

اولاً : ما جاء في رسالة القس مبارك صقر الى القس غسطين ، بتاريخ ١٤ آذار سنة ١٩٢٧ ، وقد ورد ذكرها ونصها فيما كتبناه عن البطريرك مخايل فاضل[1] وهو :

---

١) راجع المشرق .

« وفي كتاب البطريرك مخايل « كمال الاشتمال » المذكور نسب امرته وقد نسخته قبلًا عن مقدمة كتاب الواعظ لابن عمه المرحوم القس يوسف ابن الشيخ اسكندر السخني. نسيكم واذا كان من لزوم له افدني حتى انسخه عن دفاتري وارسله لكم » .

فاذا لم تكن شهادة القس غسطين مقبولة عند المعترض فهلّا تقبل شهادة القس مبارك صقر الذي كان يعرفه جيدًا ويثني عليه .

ثانيًا: وما ورد في جواب الاستاذ اميل حبيش لنا بتاريخ ١٠—١—٥٧ وهو:

« ديوان خواطر الجنان عندي ولم اقرأ فيه الا بعد ورود كتابكم . فمن مراجعة النبذة التي وردت فيه والاطلاع على ما تنقله والدي عن كمال الاشتمال فيما يتعلق باسرتنا — الاشقر — .

يتضح لحضرتكم ان مخايل فاضل اخذ عن ابن عمه القس يوسف بدليل ان الاماكن التي اقام بها الجدود وتزحوا منها الى اماكن اخرى، مذكورة في النبذتين = مع العلم بانه لم يرد في مخطوطة والدي ان المطران اخذ عن القس يوسف .

اجل ان والدي لم يذكر في مخطوطته ان المطران نقل عن نسيبه « اي ان المطران لم يذكر ذلك » ولكن النبذتين اتفقتا في المنشأ والتفرع والتروح وهذا ما يثبت ان الواحد من المؤلفين اخذ عن الآخر .

وبما ان القس يوسف توفي سنة ١٦٩٣ والمطران فاضل صار بطريركًا سنة ١٧٩٣ وبين وفاة الاول وبطريركية الثاني مئة سنة اي جيل كامل فالبطريرك اذن هو الذي نقل عن القس . »

واظن بهذا القدر كفاية لمحبي الاطلاع .

اعتراض الخوري بشعلاني

ان الخوري المذكور انكر وجود هذه النبذة للاسباب التالية :

يقول اولًا :

« ان انساب الاسر الواردة في هذه النبذة قد اثبتها (ناشرها) بصورة جازمة اكيدة ليس في حلقات سلاسلها حلقة ناقصة او مشكوك في صحتها فكأنه اخذ سلاسل انساب العرب من ايام جاهليتهم كما هي واردة في كتب الانساب العربية ومردها الى ايامنا هذه ناسبًا كل اسرة من الاسر الماروفية التي ذكرها الى القبيلة العربية التي اختارها[1] . . »

(١) مجلة المشرق اذار نيسان سنة ١٩٥٣ ص ٢١٠

وجوابنا ان القس غسطين ذكر سلاسل الاسر كما وجدها في نبذة القس يوسف ، وهذا لم يكن جاهلاً بل من العلماء المشهود لهم بالثقافة والفضل وقد صرح بانه انشأ نبذته مستندًا الى الرق الموضوع من الجدود الذي كان بيده عن والده والى تحرياته اثناء اعمال الرسالة في القرى المختلفة في لبنان وسوريا والى المعلومات التي اخذها من كهنة وشيوخ متعبين .

واذا وُجد بعض المبالغة في تسلسل الانساب فهذا لا يضير الجوهر ، اي الاصل والنزوح من مكان الى مكان . على اننا لا نجد خطة القس غسطين بتكميل الاسماء التي لا تقرأ في النبذة نقلاً عن رق الشيخ احمد عبد العزيز جاد الله من السخنه بجوار تدمر الذي زار قرطبا سنة ١٩٣٦ .

فكان الاحرى به ان يكتفي بما وجده وقرأه في النبذة . وبما انه اقرّ بما فعل فليس اذن محرفاً ولا مزوراً ولا سيّئ النية .

ويقول ثانياً :

« قد عدد القس غسطين كثيرًا من المراجع والوارد فيها ذكر واضع النبذة ومنها ما كتبه عنه المطران بطرس شبلي والخوري ابراهيم حرفوش وهما من كبار المحققين وائمة المؤرخين ولكن لم نرَ احدًا ذكر ان القس يوسف اسكندر وضع تاريخاً في اصل الاسر اللبنانية » .

بيدَ ان المطران شبلي والخوري حرفوش ، ونحن لا ننكر ما كانا عليه من سعة الاطلاع ، ليس مفروضاً فيهما الوحي والالهام والاطلاع على كل ما كُتب وما هو موجود من المخطوطات في لبنان . وعدم ذكرهما نبذة القس يوسف ليس برهاناً على عدم وجودها ، ولاسيما بعد ان وُجدت وأخذ عنها ما أخذ .

ويقول ثالثاً :

« وكيف الوصول الى معرفة حقيقة الامر والمخطوطة على قول القس غسطين ضاعت او غير موجودة والاباتي عنويل البجداتي والقس مبارك صقر وغيرهما ممن كانوا يعرفون محتويات دير مار اشيا قبل تشتت مخطوطاتها في الحرب الكبرى قد توفوا » .

غيرَ ان كل هذه الاقوال سلبية لينقضها ان القس غسطين قد وجد الكتاب ووصفه وصفاً بيناً تاماً ونقل عنه ولا سبيل الى تكذيبه الا اعتباطاً ، وفوق

ذلك قد سبق ان القس مبارك صقر ذكر صراحة في رسالة الى القس غسطين انه اطلع على كتاب رفيق الواعظ ونقل عن مقدمتـــه نسب البطريرك مخايل فاضل .

ويقول رابحاً :

— « وهذا لعمري يكفي لمعرفة قيمة هذه النبذة التي استند صاحب كتاب اصدق مـا كان . . الى رواياته عن بعض الاسر المارونية بحجة ان ناشرها كما قال لنـا من علماء الموارنة تما كان الامر » .

ويردف قائلاً في الصفحة ٢١٣ :

« وعلى الجملة فان القس غسطين فتح فتحاً مبيناً يقلب اوضاعنا ويغير وجه تاريخنا ويهدم كل ما بناه علماؤنا هو وصاحب كتاب « اصدق ما كان » فكلاهما يتنازعان مارونيتنا الاول بالاصل العربي والثاني بالاصل اليعقوبي » .

وجوابنا : بما تقدم يتضح سبب اجتهاد الخوري بشعلاني لانكار وجود نبذة القس يوسف ، وهو خوفه من تضعضع المارونية .

فهل اذا كان اصل بعض الاسر المارونية عربياً يضير امجاد الطائفة لا بل الا يكون ذلك دليلاً واضحاً على حيويتها ونهضتها واكتسابها عناصر غريبة عنها ؟

وقد استوفى الرد على كاتب اصدق ما كان المرحوم الخوراسقف قرالي فيما خص تحدر بعض الاسر المارونية من اصل يعقوبي .

اعتراض الكفرنيسي

ولقد حذا حذو المرحوم الخوري بشعلاني حضرة الاب بولس كفرنيسي في كتابه المطبوع سنة ١٩٥٧ بعنوان « تاريخ عائلة الخوري تادي ومواطنها » فاعترض على الانساب الواردة في نبذة القس يوسف واتهم القس غسطين ناشرهـا « باسترساله الى الوهم والهوس الذي لا داعي له » بحجة انها تتحدر من اصول عربية[1] .

---

١) ص ٥٧—٦٢

فقال (ص ٥٩) :

« على انه لا يمكننا التسليم بهذه الانساب استنادًا الى الرق المذكور ، ونعني بالخصوص انساب عائلتنا (عائلة الخوري نادي) ولا بتزوج الخوري نادي الى يانوح » .

لان النبذة ذكرت تزوج جد هذه العائلة من الزهوة الى يانوح ثم الى قرطبا فالاب المذكور ان يسلم او لا يسلم بما خص نسب عائلته وتزوجها الى يانوح ثم الى قرطبا ، وان كان لنا ما نجيب به على هذا الاعتراض ، وان يستند على الاب اوسطين عبد النور الخوري نسيبه وعلى غيره ممن ذكرهم ونحن نعرفهم حق المعرفة ، وهم في كل حال ليسوا اولى بالتصديق من القس يوسف اسكندر كاتب اسرار الدويهي المعروف بعلمه ورصانته والذي كان اقرب من الوقائع وقد تجول في لبنان وسوريا ودقق قبل ان يكتب .

اما ان ينكر ما جاء عن انساب باقي الاسر القرطباوية وخاصة عن اسرة السخن فهذا ما لا نسلم نحن به :

اولًا : « انه لا يسلم بالرق الذي كان محفوظًا عند والد القس يوسف ثم انتقل اليه ثم انتقل الى البطريرك خايل فاضل ابن عمه ، لانه لا يعلم بالحقيقة من هو كاتب هذا الرق ومؤلفه وما هي مكانته من الصدق ، ولا على اي اثر تاريخي استند » .

فالذي يتطلبه المعترض لا يصح تطبيقه على رقوق الاسر التي ليس لها مؤلف خاص بل توجد في العائلة . ثم يضاف اليها ما يستجد من المواليد — وهي عادة تستند الى التقاليد اكثر منها الى الوثائق ، والمعترض نفسه يقيم اكبر وزن للتقاليد في مثل هذه الاحوال — فمن هو مؤلف رق بيت شهاب ورق بيت بلمع وما هي المستندات التي تستند اليها ؟ اذن هي غير صحيحة على رأيه .

وثانيًا : « يقول ان التواريخ الموثوق بما ذكرت ان التنوخيين كانوا على دين النصرانية ولكنه اسلم بعضهم في ايام عبيده ابن الجراح وبعضهم في ايام المهدي وذكرت نزوح التنوخيين الى غربي جنوبي لبنان .. واعتناقهم المذهب الدرزي في لبنان ولم تذكر ان قبيلة منهم جاءت الى شمالي لبنان وتوطنته واعتنقت فيه الدين المسيحي ليصح ان يقال ان جدود احدى العيال المسيحية في شمالي لبنان ينسبون بنسبهم اليها » .

بيد انه اذا كان التنوخيون اسلموا فليس بثابت انهم اسلموا جميعهم بدون استثناء مما يحتاج الى نص صريح ونحن لا نحيل ان الاضطهاد اشتد على

المسيحيين ايام المهدي والمتوكل فماذا يمنع ان يكون بعضهم ، لما اشتدت الوطأة عليهم قد نزحوا الى العاقورا وجوارها ، على ما يقول القس يوسف ، وهو من المؤرخين الموثوق بهم .

ومن الثابت من جهة اخرى ان التنوخيين لم ينزحوا جميعهم الى غربي جنوبي لبنان لان منهم من نزح الى كسروان[1] .

واذا كان ذلك فيصدق بسهولة ان بعضهم قد عرج على العاقورا وهي على طريقهم الى الجنوب وكسروان . وسيأتي الجواب على الشق الاخير من الاعتراض .

ثالثاً – يقول : ان جميع التواريخ الموثوق بها لم تذكر ان قبيلة عربية كانت نصرانية ولاذت بلبنان محافظة على دينها المسيحي . . لان تلك القبائل العربية المتنصرة تركت النصرانية عند ظهور الاسلام » .

ان قوله هذا خطأ لان من تلك القبائل من استمرت زماناً على دينها بعد ظهور الاسلام واذا كان معظمهم قد اسلم فيما بعد فهذا لا ينفي بقاء البعض على الدين المسيحي والتجاءه الى لبنان ، ولو لم تذكر ذلك « التواريخ الموثوق بها » على رأيه .

ولا سيما متى ورد على لسان كاتب له شأنه مستنداً الى التحريات والتقاليد ، كالقس يوسف . ومن المعلوم ان ناحية تدمر كانت آهلة بوجه العموم بالعرب المتنصرين ، وحتى الان لا يزال هناك قبائل ترسم على مقتنياتها علامة صليب كسمة يفرزون بها عشائرهم عن سواها[2] .

وفي السخنة حتى الان مقامات محترمة يزورها السكان على اسم مار الياس ومار سركيس وباخوس شفعاء عيال قرطبا ، ويقولون هناك بل يؤكدون انهم كانوا مسيحيين وان بعضهم نزح قديماً الى لبنان .

رابعاً وخامساً : يقول انه ليس من القبائل الاسلامية والدرزية من تنصر الا الاسرة

---

١) تاريخ الدويهي ص ١١٤ مع تعليق من ناشره رشيد الشرتوني من مختصر تاريخ لبنان والتاريخ الاكبر واخبار الاعيان في جبل لبنان .

٢) راجع المشرق ١ ص ٤٩٤ و٩ : ص ٩٥٧ ، والمجلة البطريركية سنة ١٩٣٠ ص ٤٣٥ .

الشهابية والاسرة اللمعية، وان المردة موارنة وان مالك الغيث مقدم الماقورا وهاشم جد آل الهاشم في الماقورا لم يكونوا الا موارنة لان الدويهي ومسعد والسدبس لم ينسبوهم مطلقاً الى اصل عربي » .

وهذا خطأ ظاهر .

فالمردة لم يكونوا موارنة — فالمطران يوسف دريان يقول نقلاً عن القديس تواثان في تاريخ ٦٦٩ :

« ان الملك قسطنطين الرابع (اللبناني) قد ارسل حوالي هذا العام فرقة من المرديين الى جبل لبنان . وقد ضايقوا العرب اشد مضايقة واضطروا الخليفة معاوية ان يعقد صلحاً غير موافق له مع الملك قسطنطين . ثم اضطروا بعده الخليفة عبد الملك ابن مروان ان يجدد عهد الصلح بشروط اهم مع يوستنيانوس ابنه (الاخرم) كان في جملتها ان يسحب هذا الملك الفتى فرقة المرديين من لبنان وقد سحبها لغباوته فعلاً وكانت نحو اثني عشر الف مقاتل » .

وقد ذكر المطران دريان ان هؤلاء المرديين على ما هو ثابت الان قبيلة منشأوها اعالي جبال ارمينية مما يلي بلاد فارس كانت مخلصة لملوك الروم[1] .

ولقد اثبت غيره من المؤرخين المدققين ان المردة لم يكونوا موارنة[2] .

فنستغرب اذن ان يعود الاب كفرنيسي الى ترداد مثل هذه الاقاويل . ولكننا نقول مع غيرنا ان فريقاً من المردة بقي في لبنان وامتزج مع سكانه الموارنة[3] الذين كانوا يساعدونهم في حروبهم حتى اطلق اسم المردة على الموارنة من باب التوسع .

ومن اولئك المردة المقدم يعقوب المردي الماقوري جد اسرة تابت الشهيرة[4] .

اما بخصوص مالك الغيث اليمني وهاشم العجمي ، فاذا كان الدويهي وغيره لم يقولوا انهما عربيا الاصل فهم لم يقولوا قط ان اصلهما غير عربي او فونيقي .

والثابت عكس ما ذهب اليه الاب كفرنيسي فما عدا ان الاسم يدل على الاصل احياناً فقد جاء في تاريخ الماقورا ما يلي :

---

١) نبذة في اصل الطائفة المارونية واستقلالها بجبل لبنان ١٩١٩ ص ٤٩—٥٠

٢) الاب لامنس موجز تاريخ سوريا م ١ ص ٨١

٣) لامنس ، ص ٨٢

٤) تاريخ الماقورا للخوري لويس الهاشم ١٩٣٠ ص ٣١٣

« اسرة مالك ابن الغيث . . . اصلها اليمن توطنت حوران ثم غوطة دمشق الشام وترحت الى العاقورا وقتما اشتد المسلمون على المسيحيين عند ظهورهم »

فقال الخوري يوسف الدحداح (خادم العاقورا) في حاشية علقها على كتاب النشمشت ما حرفيته :

« وعيلة ابو الغيث اصلها من اليمن سكنت حوران ثم غوطة الشام ومن كثرة ما صار عليها عند ظهور المسلمين رحلت الى العاقورا وكان منها مقدمين وكانوا المتكلمين في اليسنية[1] .

والخوري يوسف الدحداح كان في الجيل السابع عشر من الكهنة المتهمين وقد توفي في نيسان ١٦٧٧ .

ومن هذا النسب اسرة ملحمه الشهيرة وفروع ابي الغيث العديدة .

وبخصوص هاشم جد آل هاشم قال الشيخ ادوار سليم الدحداح في كتابه « سياسة لا وجدان » :

« ان هذه الاسرة تتحدر من هاشم بن عتبة صحابي اسلم يوم الفتح ثم بايع علياً في القادسية في حرب الفرس واقام في بلاد العجم ومن ذريته من قدم الى لبنان وتصر فيه فنشأ منه هاشم العجمي جد هذه الاسرة » .

وقد اورد الخوري لويس الهاشم براهين تثبت صحة هذه النظرية منها « التقاليد المتعارفة ابا عن جد » المحفوظة في العاقورا[2] .

وكما يقول الاب كفرنيسي ان التقاليد هي اهم ما يستند اليه في تاريخ الانساب .

ومعلوم ما لهذه الاسرة من الفروع العديدة في لبنان .

ومثلها اسرة الدحادحة : فقد جاء في كتاب « سياسة لا وجدان » ما يلي :

« ان الدحادحة اصلهم من عرب اليمامة يتحدرون من ابي الدحداح ثابت ابن الدحداح وانه قدم جماعة منهم الى دمشق حيث بقيت آثارهم الى اليوم وقد اصاب الدحادحة نكبة في دمشق فتفرقوا وجاء بعضهم الى العاقورا وتنصروا[3] .

---

١) حاشية ٢٦ : ص ٤٥٢

٢) تاريخ العاقورا ص ٤٩١ وما يلي

٣) المحل المذكور ص ٣٢٧

وقال الخورسقف يوسف داغر[1] :

« ان آل الدحداح ينتسبون الى ابي الدحداح ثابت ابن الدحداح الصحابي . وقد ورد ذكره في كتاب « الاصابة في تمييز الصحابة » واشتهر بنو الدحداح في التاريخ العربي الاسلامي وورد ذكر بعضهم في تاريخ الفتوحات الاسلامية . . . ولما نكل الخليفه معاوية بالقيسيين واستباح دماءهم تشتتوا في انحاء البلاد والتجأ بعضهم الى لبنان وكانت العاقورا في ذلك الوقت ابعد المناطق عن سلطة الخليفة فلجأ اليها قوم عديدون من العرب بينهم بعض ابناء الدحداح . . ولما كان سكان العاقورا في ذلك الوقت من النصارى تنصر معظم العرب الذين قطنوا فيها وهكذا تنصر جد بيت الدحداح . . ولا يزال الى ايامنا فرع مسلم للعائلة الدحداحية منتشراً في انحاء سوريا . . . »

واسرة حبيش :

« جاء عنها في تاريخ عيسى المعلوف انها من اذرع حوران وانتقل الى تدمر (في البادية) نخايل بن موسى حبيش ثم انتقل فرع منها الى بانوح وسماها تدمر . وفي سنة ١٥١٥ رحل الى غزير حبيش بن عبدالله بن نخايل » . (داغر ص ٣٥٣)

وهذا يتفق مع ما ذكره القس يوسف اسكندر في نبذته ، فتأمل . . .

واسرة معلوف :

« يقول عيسى المعلوف ان اصلها من بني غسان من عملاء البيزنطيين في سوريا » .

(داغر ص ٣٠٣)

واسر تنورين :

جاء في مخطوط الاب بطرس مطر المؤرخ سنة ١٦٥٠ :

« جد اهالي تنورين الاول بغدادي اسمه خطار هجر بغداد سنة ١٦٢١ الى حلب ونقل من احفاده واحد اسمه قرقاز صار كاتخدا عند الحاكم ثم عندما طالب الشعب برفع الباص ساعده قرقاز وهرب الى بانوح وصار نصراني مع اولاده » .

وهذا يوافق المخطوط الغادي المؤرخ سنة ١٥٩٩ . واضاف الخور اسقف داغر التنوري :

« فان تقاليدنا المحلية القديمة تتفق مع رواية الاب مطر ومع ما جاء في الناشر الغادي من ان جدنا بغدادي نقل الى حلب ورحل احد احفاده الى دمشق ثم الى بانوح ثم الى تنورين » . (داغر ص ١٨١)

---

١) لبنان : لمحات في تاريخه واسره ١٩٣٨ ص ٣٥٥

واسرة العنيسي :

« روى بعض بنيها الدكتور الياس العنيسي انها تتسلسل من قبيلة عنس من الكنديين وجاءت الى العاقور في القرن الثالث عشر وتوطنتها . »

(تاريخ العاقورا ص ٤١٤)

وبنو كندة عرب قطنوا الجزيرة العربية في الجاهلية ومنهم خرج الحارث ملك الحيرة .

واسرة عرب :

« عشيرة قديمة قد طالما سمعنا الشيوخ يقولون عنها انها يمنية ولعل اصلها من جهات حوران » . (تاريخ العاقورا ص ٦٤٩)

واسرة الاشقر :

« من الشقراء من مدن حوران » . (تاريخ العاقورا ص ٢٧٥)

وما ذكره الحوري لويس الهاشم عن هذه الاسرة يتفق اجمالاً مع ما ذكرته نبذة القس يوسف اسكندر .

واسرة عساف :

« وتعرف بالغبيبي ، اصلها من حوران على ما يقول البعض » .

(المحل المذكور ص ٦٥٣)

واسرة الكريدي :

« من حوران من فروع بني المدلوف ، كما يقول عيسى المدلوف » .

(المحل المذكور ص ٦٧٧)

واسرة داغر صفير :

« يعرف بالتقليد انه في الربع الاول من القرن السادس عشر قدم من صفراء حوران صفير الجد الاول لعائلة صفير » . (داغر ص ٢٠٨)

هذا ونظن ان كل ما تقدم كاف لدحض مزاعم المعترض .

ومما يثبت انتشار العناصر العربية في لبنان وامتزاجها بالعناصر الاصيلة المارونية هو تغلب اللغة العربية على السريانية لغتهم الاصلية ، اذ ان انتشار لغة بين قوم لا يتم بامر او بقرار بل يكون نتيجة امتزاج الاقوام ببعضهم .

ودليل ذلك ان الموارنة ، نظراً لشيوع اللغة العربية بينهم حتى في الجيل الحادي عشر اضطروا ان يترجموا من اللغة السريانية الى العربية الكتاب المعروف عندهم بكتاب الهوى ، او الناموس .

وقد تمت الترجمة سنة ١٠٥٨ على يد المطران داود حتى يكون الكتاب سهل المطالعة والاستعمال .

(راجع كتاب البراهين الجلية للمطران يوسف دريان ص ٢١٩-٢٢٠ وغيره)

وكذلك نقول عن امتداد الحزب القيسي واليمني في البلاد حتى في البلدة الواحدة وبين العائلة الواحدة، مما يدل على نفوذ العنصر العربي وانتشاره في لبنان.

وقد استمر هذا الانقسام حتى بدء ولاية الامير يوسف شهاب ، على ما ورد في المقاطعة الكسروانية للخوري الحتوني .

(ص ١٠٧ انظر ايضاً الاب لامنس ، تاريخ سوريا م ١ ص ٧٥ ، ١٣٢ عن الحزب القيسي واليمني) .

ويقول المعترض سادساً :

« يعارض الرق ان جميع المؤرخين الموثوق بصدقهم قديمين وحديثين متفقون على ان عموم المارنة ، لا سيما في شمالي لبنان هم من اصل فينيقي وارامي فينيقي » .

فاين جاء هذا القول « عموم الموارنة » ومن هم هؤلاء المؤرخون ؟

ومع ذلك فنحن لا ننكر ان معظم لا عموم الموارنة هم كذلك ، بالنظر الى ما طرأ على لبنان من تسرب العناصر الغريبة اليه بسبب الحروب والتقلبات.

ونضيف على ما تقدم عن المردة وعن الاسر العربية الاصل الكثيرة الفروع ، ما جاء في التاريخ الراهن عن لجوء الصليبيين بعد انكسارهم الى لبنان وامتزاجهم بالموارنة ، فقد قال لكويان بمعرض كلامه عن البطريرك شمعون (١٢٤٥—١٢٧٧) :

« ان كان سمعان هو الذي خلّف يوحنا فيكون هو الذي روى عنه ياجيوس ترمي في كتابه الموسوم « بسوريا المقدسة » المطبوع برومة ١٦٩٥ ص٢٥٢ انه لما أخذت انطاكية من يد الفرنج التجأ اليه كثيرون من الكاثوليكيين سكانها فقابلهم واكرم مثواهم وكتب الى البابا اسكندر الرابع يخبره بحالتهم وشديد تعلقهم بالكرسي الرسولي فاجابه البابا مثنياً على اهتمامه وغيرته ومسمياً اياه بطريركاً انطاكياً » .

(دبس تاريخ الموارنة ص ٢٢٧ والدويهي ص ١١١)

وقال المطران دريان :

« ان الافرنج بعدما غلبوا على امرهم في انطاكيا وطرابلس وسائر ساحل سوريا قد انحاز قسم كبير منهم الى جبل لبنان وسكنوا بين اخواتهم الموارنة آمنين على الرحب والسعة وامتزجوا بهم كل الامتزاج » .

(نبذته في استقلال لبنان ص ١٠٤ وما يلي : راجع ايضاً الخوري بطرس غالب صديقة وعمامية ص ٢٣٤)

ولقد ذكر ذلك بكل صراحة البابا بنديكتوس الرابع عشر في خطابه في مجمع الكرادلة ١٣ تموز سنة ١٧٤٤ ، اذ قال : -

« لما ، بعد عدة أجيال استولى العرب على انطاكية ، بعد طرد الافرنج منها التجأ هؤلاء الافرنج الكاثوليك الى جبل لبنان فقابلهم بطريرك الموارنة بغاية الترحاب والرعاية » .

(مجموعة البولّات للاب عنيسي ص ٢٩٤)

ولا يخفى ان بعض العائلات المارونية ترجع نسبها الى الصليبيين .

ومن كل ما تقدم يتضح ان العنصر الفينيقي الارامي لم يبقَ حرفاً سليماً بل قد دخلت عليه عناصر غريبة وامتزجت به وهل يضر ذلك بالمارونية وبالوطنية ؟ فلا نعرف من ثمة سبباً من قبل المعترض لكل هذا العناء الا تعمده نقض ما نشره اخوه في الرهبانية وانكار قيمة نبذة القس يوسف اسكندر لغاية في النفس .

هذا وفي الوقت الذي كتب فيه القس يوسف نبذته لم يكن شأن للعروبة ولا للمستعربين ، كما هو اليوم حتى ينسب اليه محاولة انتحال اصول عربية على سبيل المباهاة بل قد كتب ما كتبه باخلاص بعد البحث والتروي .

اذن ان القس يوسف قد وضع نبذة في تاريخ اسرته واسر قرطبا وغيرها وان نسبته معظم اسر قرطبا الى اصول عربية لم يقم برهان حري بالاعتبار جازم لدحضها ، بل بالعكس ان الكاتب المذكور هو جدير بكل اعتبار وتقدير نظراً الى ثقافته العالية واطلاعه ورصانته وتحرياته التي قام بها قبل وضع النبذة المشار اليها ، لا سيما وانه كان كاتب اسرار الدويهي الى تاريخ الطائفة والوطن فاخذ عنه ، ولا ريب حب التاريخ وروح البحث والتنقيب ، ولربما كان يطلعه على ما يكتب ويأخذ رأيه فيه شأن التلميذ مع معلمه .

والنبذة في كل حال تسجل تقليداً قديماً متواتراً مأخوذاً عن شيوخ العائلة وكهنتها المعتبرين ، والتقليد جل ما يعتمد عليه في مثل هذه الابحاث ، على رأي المعترض نفسه .

اما اذا كان الاب كفرنيبي يأبى الا الانتساب الى الفينيقيين والاراميين ، ولا برهان وضعي لديه ، لعلو شأنهم ومكانتهم فنحن نقبل باصلنا ولو اعتبره هو وضيعاً .

اما هل القس يوسف هو مؤلف كتاب رفيق الواعظ ؟

لقد ذكر المطران شبلي ما يلي :

« نسب بعض المؤرخين الى البطريرك اسطفان الدويهي تأليفاً في العظات » .

قال البطريرك استفان عواد في ترجمة الدويهي :

« صنف كتابين في العظات » .

وكتب البطريرك بولس مسعد ان للدويهي ثلاثة كتب تتضمن عظات ، الا ان الدويهي لما ذكر تآليفه في رسالته الى البادري بطرس مبارك لم يشر الى شيء من ذلك .

وقد عثرت على مسودة عظات بخط الدويهي وزال ارتيابي بوجود هذا التأليف والمخطوط وجدته عند الاب العالم الخوري بطرس حبيقه ومن سكوت الدويهي يستدل ان هذا المجموع لم يكن بعينه حرياً بالاعتبار .

(ترجمة الدويهي ص ٢١٢ وما يلي)

ولكن بما انه ليس احد ممن تقدم قد ذكر كتاباً وضعه الدويهي بعنوان « رفيق الواعظ » والقس يوسف يذكر في نبذته المشار اليها سابقاً . ان هذا الكتاب من صنعه لقوله مراراً « كتابي رفيق الواعظ » ولا مسوغ لتكذيبه ، ولا يمكن من جهة اخرى مقابلة هذا الكتاب ، لفقدانه ، بالمخطوط الذي اطلع عليه المطران شبلي فلا نرى اي مانع من نسبة كتاب « رفيق الواعظ اليه » ، ولاسيما لانه كان عالماً ومكلفاً القاء الرياضات الروحية في لبنان وسوريا ، كما ذكر ، فلم يكن متعذراً عليه جمع وتنقيح بعض عظات كان يلقيها ويرددها في رسالاته . وقد يكون ايضاً استعان بمخطوطات الدويهي في الوعظ .